

Al-Zaytouna Centre  
for Studies & Consultations



مركز الزيتونة  
للدراستات والاستشارات

Conference on  
**The Islamists of the Arab World  
& the Palestinian Issue**  
in Light of the Arab Uprisings

مؤتمر  
**الإسلاميون في العالم العربي  
والقضية الفلسطينية**  
في ضوء التغيرات والثورات العربية

ورقة عمل

**الإسلاميون في الأردن والقضية الفلسطينية  
(جبهة العمل الإسلامي نموذجاً)**

أ. حمزة منصور



Crowne Plaza - Beirut - Lebanon  
28-29 November 2012

فندق كراون بلازا - بيروت - لبنان  
28-29 تشرين الثاني / نوفمبر 2012

## الإسلاميون في الأردن والقضية الفلسطينية (جبهة العمل الإسلامي نموذجاً)

أ. حمزة منصور\*

"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" الإسراء: 1.

ينطلق حزب جبهة العمل الإسلامي في تصوره للقضية الفلسطينية وتعاطيه معها من أبعاد عقديّة ووطنية واستراتيجية. فلسطين وفق التصور الإسلامي هي الأرض المقدسة، التي يقول الله سبحانه فيها في سورة المائدة: "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ"، وهي الأرض المباركة، حيث يقول الله سبحانه في سورة الأعراف: "وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا"، ويقول سبحانه في مطلع سورة الإسراء: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ"، ويقول في سورة الأنبياء: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ"، وفي سورة سبأ: "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ".

وهي أرض الإسراء والمعراج، حيث أسرى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام في مكة المكرمة، أول بيت وضع للناس إلى المسجد الأقصى في القدس، ثاني مسجد في الأرض بني لعبادة الله تعالى، وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء إماماً، إعلاناً لورثة محمد عليه الصلاة والسلام لإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومنها عُرج بالنبي العربي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى، يقول الله سبحانه في سورة النجم: "ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى"، وفيها المسجد الأقصى شقيق المسجد الحرام، والصلاة فيه بخمسة صلاة، وهو مشد الرحال للمؤمنين، إلى جانب أخويه في مكة والمدينة "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى"، وهي القبلة الأولى للمسلمين الذين توجهوا إليها في صلاتهم ستة عشر شهراً، وهي أرض المحشر والمنشر، وإليها قدم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتحاً، وتسلم مفاتيح القدس، وأرسى مبادئ سامية في التعامل مع أهلها، بعد أن حررها

\* أ. حمزة منصور: أمين عام جبهة العمل الإسلامي الأردني.

من احتلال الرومان، وضمن لأهلها إلى جانب حقوقهم الدينية، والمدنية ألا يسكن فيها اليهود؛ لبغيهم، وإفسادهم في الأرض.

وهي أرض الطائفة المنصورة، الظاهرة على الحق، القاهرة لعدوها، التي لا يضرها من خذلها، وهي الأرض التي ضمت قبور الصحابة الأجلاء، والعلماء الفضلاء.

وإلى جانب هذا التصور لقدسيتها فلسطين وبركتها فهي دار الإسلام، التي أوجب الله على المسلمين حمايتها، والذود عنها، وبذل الوسع في سبيل ذلك، فقد أجمع العلماء على أن أهل الملة ملزمون بالدفاع عن حياض الإسلام. حيث يقول صاحب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر مقررًا مذهب الأحناف في الجهاد: "فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام، أو ناحية من نواحيها، فالجهاد فرض عين، فتخرج المرأة والعبد بغير إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه".

وفي كتاب البحر "امرأة مسلمة سببت بالشرق وجب على أهل الغرب تخليصها". ويقول صاحب بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك "ويتعين [الجهاد] -أي يصير فرض عين كالصلاة والصوم- بتعيين الإمام، وبهجوم العدو على محلة قوم، فيتعين عليهم، وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة، ولو منعهم الولي، والزوج، والسيد، ورب الدين إن كان مديناً".

وفي المغني لابن قدامة: "يتعين في ثلاثة مواضع، منها إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم، ودفعهم". ويقول ابن تيمية: "وإذا دخل العدو بلاد الإسلام، فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم". ويقول ابن حزم الأندلسي "إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعادتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم، أذن الأبوان أم لم يأذنا، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده".

وقد أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها.

والعلماء في هذا يصدر عن آيات القرآن الكريم، التي تستنفر المسلمين للقتال في سبيل الله، والدفاع عن المستضعفين، والتي ترتب عظيم الأجر للمجاهدين، وتحذر من مغبة القعود عن الجهاد.

يقول الله سبحانه في سورة النساء: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا"، ويقول في سورة التوبة "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ".

ويحذر النبي صلى الله عليه وسلم من مغبة القعود عن الجهاد، حيث روى الإمام مسلم في صحيحه "من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق". وفي الحديث المتفق عليه "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا".

والآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد، وتحرض عليه، وتحذر من القعود عنه كثيرة، كما أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وتابعيهم بإحسان كلها تؤكد على فرضية الجهاد، وتسابق المسلمين عليه.

والى جانب هذا الفهم لدى حزب جبهة العمل الإسلامي لموقع فلسطين في كتاب الله عز وجل، وهدى نبيه عليه الصلاة والسلام، والعلماء العاملين، فإنه ينطلق من إدراكه لعداوة اليهود، الذين قال الله فيهم في سورة المائدة: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا"، وبخطورة المشروع الصهيوني العنصري التوسعي الاحتلالي، الذي نسجته الأطماع الصهيونية، والمخططات الاستعمارية، ليبقى عنصر تهديد دائم للعرب والمسلمين، وللحيلولة دون وحدة آسيا العربية، وإفريقيا العربية.

فأدبيات الحركة الصهيونية تتطلع إلى دولة من الفرات إلى النيل، وهو ما زال يحتل أراضٍ عربية في سورية ولبنان، ويضرب ذات اليمين وذات الشمال في لبنان، والسودان، وتونس، وما زال يستهدف أيّ قوة عسكرية أو اقتصادية صاعدة في المنطقة. وفي هذا السياق جاء ضرب المفاعل النووي في العراق، واستمر التهديد للمشروع النووي في كلٍّ من باكستان وإيران.

ومن هنا فقد احتل الحديث عن فلسطين مساحة واسعة في النظام الأساسي لحزب جبهة العمل الإسلامي، وحين يحتل الحديث مساحة واسعة في النظام الأساسي للحزب في منطلقاته وأهدافه العامة والخاصة إنما يؤكد على موقع القضية الفلسطينية في مشروعه، وبرامجه، وأولوياته.

فقد جاء في منطلقات الحزب "واستشعاراً بعمق المأساة التي يمثلها الوجود اليهودي، الذي يحتل فلسطين، ويدنس أرضنا ومقدساتنا، ووفاء لدماء شهدائنا التي جبلت بها أرض الأردن دفاعاً عن الأردن وفلسطين، ومن أجل تربية الأمة تربية جهادية شاملة".

فالحزب يستشعر عمق المأساة التي يمثلها الوجود اليهودي المحتل لفلسطين، وهو يدنس الأرض المقدسة، ويؤكد الحزب وفاءه لدماء الشهداء، ويؤمن بتربية الأمة تربية جهادية شاملة، استعداداً ليوم الخلاص.

وكما أكد الحزب التزامه بالقضية الفلسطينية في منطلقاته، فقد أكد عليها كذلك في أهدافه، فقد جاء في المادة 2/1/1 "الإسهام في بناء الأمة معنوياً ومادياً، وفي المشروع النهضوي العربي والإسلامي، وإعداد الأمة لجهاد أعدائها من الصهاينة والمستعمرين، وخدمة القضية الفلسطينية في إطارها العربي والإسلامي، والسعي إلى تحريرها من الصهاينة المغتصبين".

كما جاء في المادة 13/2/1 "تهيئة الأمة للتصدي المستمر للصهيونية العالمية ومن يدعمها، باعتبار فلسطين قلب الأمة الإسلامية والعربية، والقضية الفلسطينية مسؤولية العرب والمسلمين، والشعب الفلسطيني طليعة الجهاد لتحرير التراب الفلسطيني كله، ولا يجوز الاعتراف بالكيان اليهودي الغاصب".

فالتصدي للصهيونية ومن يدعمها هدف رئيس، وفلسطين قلب الأمة الإسلامية والعربية، ومسؤولية تحريرها مسؤولية العرب والمسلمين، والاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب غير جائز.

هذه المنطلقات والأهداف حاضرة في هيئات الحزب، وبرامجه، ومواقفه، فهناك لجنة مركزية للقدس وفلسطين، وهناك ملف حاضر في كل اجتماع للمكتب التنفيذي وعلى نفس الدرجة من الأهمية مع الملف الوطني، والمناسبات المرتبطة بفلسطين حاضرة على الدوام، ومستجدات القضية الفلسطينية يتم التعامل معها عبر كل الوسائل السلمية، والسليمة.

وتحتل القضية الفلسطينية مكانة مرموقة في المؤتمرات العامة للحزب، فقد جاء في الحديث عن السياسات العامة في المحور العربي والإسلامي:

إن موقع القضية الفلسطينية في عقيدة الأمة، والأخطار التي تتهددها، تستوجب الحفاظ على مركزية القضية، وتحشيد طاقات الأمة لنصرتها، وتوفير كل أسباب الدعم والإسناد للشعب الفلسطيني لمواصلة انتفاضته المجيدة، ومقاومته الباسلة، كطليعة لتحرير فلسطين. وإن ما تمثله القدس في وجدان كل عربي ومسلم ببعديها الديني والوطني، وما تتعرض له من مؤامرات خطيرة تستهدف تهويدها وإلغاء هويتها واستلابها، يفرض على كل المخلصين من أبناء الأمة تطوير البرامج، وصيغ العمل المتعلقة بها، لترتفع إلى مستوى قدسية القضية، وإلى مستوى الأخطار التي تتهددها، كما أن حق العودة للاجئين

الفلسطينيين، وهو حق ثابت ومقدس، يتعرض لمؤامرة دنيئة تستهدف إلغائه، والتخلي عنه، الأمر الذي يستوجب تطوير وتفعيل إستراتيجية التعامل معه.

فالحفاظ على مركزية القضية الفلسطينية، وتحشيد طاقات الأمة لنصرتها، وتوفير كلّ أسباب الدعم والإسناد للشعب الفلسطيني، من مقتضيات موقع القضية الفلسطينية في عقيدة الأمة، ومن متطلبات مواجهة الأخطار التي تتهدد الأمة، وتطوير البرامج وصيغ العمل ضروريان لمواجهة المؤامرات التي تستهدف استلاب القدس وإلغاء هويتها.

وقد أفردت رؤية الحركة الإسلامية الصادرة في 2005 باباً تحت عنوان: "القضايا الكبرى" جاء فيه تحت عنوان "فلسطين والصراع العربي الصهيوني"، تقوم رؤية الحركة الإسلامية للقضية الفلسطينية على الحقائق التالية:

1. إن فلسطين من البحر إلى النهر حقّ تاريخي وسياسي وقانوني لشعبها، الذي هو جزء من الأمة العربية والإسلامية. وإن هذه الأرض ملك ووقف لهذه الأمة، وإن ذلك جزء من عقيدة الأمة ومقدساتها الكبرى، وإن قضيتها تعد القضية السياسية الأولى والمركزية للأمة العربية والإسلامية، وهذا يتطلب منها بذل قصارى جهدها لتحريرها، ودعم شعبها من أجل التحرير والاستقلال والعودة.

وإن أية إجراءات سياسية أو عسكرية أو غيرها يمكن أن تنتقص من هذا الحق إجراءات باطلة، وغير شرعية، ومرفوضة، ولا يملك أحد التنازل عن هذا الحق، أو عن جزء منه. وعلى العرب والمسلمين والشعب الأردني جزء منهم واجب تحريرها.

2. وتضيف الوثيقة "الصراع مع المشروع الصهيوني صراع حضاري بكلّ أبعاده السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والعقائدية، وأن الكيان الصهيوني مصدر الخطر الأكبر على أمتنا، وحضارتنا، ومستقبلنا، وأن اتفاقيات السلام القائمة مع هذا الكيان إنما هي سبيل لتكريس اغتصابه لأرضنا وحرية شعبنا، وأن الجهاد في سبيل الله، والمقاومة بكلّ أشكالها، هما السبيل إلى التحرير"، ومدينة القدس والمسجد الأقصى أقدس مقدسات المسلمين إلى جوار مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهي مركز البركة والقداسة المؤكنتين في عدة آيات من كتاب الله.

و"نظراً لخصوصية القضية الفلسطينية، وخطورة ما يتعرض له الشعب الفلسطيني في مواجهة الآلة العسكرية الصهيونية، المدعومة من الإدارة الأمريكية، فإن الأمة العربية والإسلامية، وفي مقدمتها الشعب الأردني، لخصوصية العلاقة، مطالبان بالوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني

ودعّمه، بما في ذلك توفير الحياة الكريمة لأبنائه، ووقف أي إجراءات تمييزية بحقهم في جميع البلاد العربية".

فلسطين من بحرّها إلى نهرها وقف للأمة، وقضيتها القضية المركزية لها، وأن مسؤولية تحريرها أمانة في عنق الأمة، وأن دعم صمود أهلها من أوجب الواجبات، وأن الصراع مع المحتلين صراع حضاري، وأن توفير الحياة الكريمة لأهلها مقيمين ولجئيين ونازحين واجب. وقد دأب حزب جبهة العمل الإسلامي على التأكيد على هذه الحقائق في برامجه التي تقدم بها إلى الشعب الأردني في الانتخابات النيابية، ونقطف منها: "ليس لأحد كائنا من كان الحق في التنازل عن أي جزء من أرض فلسطين"، "صراعنا مع المحتل صراع عقائدي حضاري، لا تنتهيه اتفاقيات السلام، وهو صراع وجود وليس صراع حدود"، "الجهاد والمقاومة هما السبيل لتحرير فلسطين"، "جميع الاتفاقيات التي تنتقص من حق الأمة في السيادة على فلسطين اتفاقيات باطلة، ولا تلزم الأمة بشيء".

وقد ترجمت هذه الرؤى والأفكار إلى خطط وسياسات ومواقف، نجملها في ما يلي:

1. إنشاء لجنة مركزية لفلسطين معنية بتنفيذ خطة الحزب فيما يتعلق بفلسطين، وتقديم الاقتراحات اللازمة للمكتب التنفيذي إزاء المستجدات.
2. وضع الملف الفلسطيني كبند ثابت في كل اجتماع للمكتب التنفيذي تستعرض فيه المستجدات، ليتم التعامل معها باستمرار.
3. إحياء المناسبات المتعلقة بالقضية الفلسطينية كالإسراء والمعراج 27 رجب، والفتح الصلاحي (27 رجب) ووعد بلفور 1917/11/2، واغتصاب فلسطين 1948/5/15، وهزيمة حزيران 1967/6/5، ويوم الأرض 1976/3/30، ومعاهدة وادي عربة 1994/10/26، وغيرها. واختيار الوسائل المناسبة للتعبير عنها، وهي تتخذ أشكالاً شتى من البيان، إلى الاعتصام، إلى المهرجان، إلى المسيرة الجماهيرية.
4. التعامل اليومي مع القضية الفلسطينية ولا سيما في المحطات الكبرى، كالاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية، وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، وتهجير السكان، ومصادرة الأرض، وارتكاب المجازر، كمجزرة المسجد الأقصى، والمسجد الإبراهيمي، وعيون قارة، وجنين، والاعتداءات المستمرة على قطاع غزة، وإبعاد المجاهدين، ومعاناة الأسرى، والخلافات البينية بين الفصائل الفلسطينية، والمؤتمرات والاجتماعات ذات الطابع التقريبي مع العدو الصهيوني.

وقد اتخذ التعامل مع هذه القضايا أشكالاً عدة، منها تشكيل اللجان من طيف واسع من الأحزاب والقوى السياسية، والشخصيات الوطنية المستقلة، وتقديم المبادرات، وعقد الملتقيات. وقد شهدت هذه المناسبات حضوراً جماهيرياً واسعاً. وقد سجل الشعب الأردني في كثير من هذه المناسبات سبقاً نال إعجاب القيادات الفلسطينية وتقديرها، وكان محفزاً لحراك مماثل في أقطار أخرى، فضلاً عن أنه أسهم في تطوير الموقف الرسمي لصالح الشعب الفلسطيني.

5. تشكيل اللجان المتخصصة بالتعاون مع الأحزاب السياسية، والنقابات المهنية، والشخصيات الوطنية، ومنظمات المجتمع المدني، على مختلف الصعد المحلية والعربية والإسلامية ومنها:

أ. اللجنة التنفيذية العليا لحماية الوطن ومجابهة التطبيع، التي يشرف كاتب هذه الورقة على رئاستها لسنوات عديدة، وهي تضم أحزاب المعارضة الوطنية، والنقابات المهنية، وجماعة الإخوان المسلمين، واتحادات طلابية ونسائية، وجمعيات وروابط، وشخصيات مستقلة. وقد بدأت فكرتها منذ انعقاد مؤتمر مدريد، وتعزز حضورها بعد توقيع معاهدة وادي عربة. وقد عقدت مؤتمرات، وصدر لها عدة إصدارات وتشريعات، منها ميثاق مجابهة التطبيع، وإستراتيجية عربية لمجابهة التطبيع كما أصدرت عشرات الأعداد من نشرة المجابهة، وانتظمت اللجنة في اجتماعاتها، وما زالت تواصل جهودها، وكان آخر أنشطتها اعتصام جماهيري على مقربة من سفارة العدو في عمان، في الذكرى الثامنة عشرة لمعاهدة وادي عربة، والذكرى الخامسة والتسعين لصدور وعد بلفور المشؤوم.

ب. لجنة حقّ العودة، وهي لجنة متخصصة، منبثقة عن لجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة الوطنية الأردنية، وبالتعاون مع ممثلي مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، وهي معنية بإقامة الأنشطة والفعاليات التي تؤكد على حق العودة، وتتصدى لمحاولات مصادرة هذا الحق. وبالتوازي مع اللجنة، أنشأت الحركة الإسلامية الجمعية الأردنية للعودة واللاجئين، وكان آخر فعاليتها المؤتمر الأول للعودة "عائدون" في 3/11/2012.

ج. الملتقى الوطني لدعم الانتفاضة، وهو تشكيل يضم الأحزاب السياسية المعارضة، والنقابات المهنية، وجماعة الإخوان المسلمين، والشخصيات الوطنية المستقلة، وينعقد في المحطات المهمة في مسار القضية الفلسطينية.



د . المشاركة في المؤتمرات والمؤسسات العربية والإسلامية والدولية، كالرابطة الدولية للبرلمانيين المدافعين عن القضية الفلسطينية، ومؤسسة القدس الدولية، والمؤتمر العام للأحزاب العربية، والمؤتمر القومي الإسلامي، ومنتدى البرلمانيين الإسلاميين.

6. ومن المجالات المهمة التي شارك فيها حزب جبهة العمل الإسلامي مشاركته النيابية، وقد شكلت مشاركة حزب جبهة العمل الإسلامي في الحياة النيابية إسهاماً كبيراً في خدمة القضية الفلسطينية، حيث انطلقت الكتلة النيابية من إيمانها بأن النائب الإسلامي نائب أمة، فضلاً عن أنه نائب وطن، فكانت القضية الفلسطينية حاضرة في خطابها، ومناقشاتها، ومواقفها، فقد تصدت بقوة لمعاهدة وادي عربة، وللقوانين التي استندت إليها، وشاركت بفعالية في لجنة فلسطين النيابية، وعبرت عن موقفها بوضوح إزاء اتفاقية أوسلو والاتفاقيات التي تلتها، وإزاء الاعتداءات المتواصلة على الشعب الفلسطيني ومقدسات الأمة في فلسطين، وقضايا الأسرى والمعتقلين والمبغدين.

كما اضطلعت بمسؤولياتها إزاء المطالبة بتوفير حياة كريمة للفلسطينيين المقيمين في الأردن، ممن لا يتمتعون بالجنسية الأردنية. وبدلوا جهوداً مميزة في الإسهام في إنقاذ حياة القائد خالد مشعل لدى تعرضه لحادث إجرامي على يد الموساد الصهيوني، وفي محاولة وقف إبعاد المكتب السياسي لحركة حماس.

7. ومن المحطات المهمة في الصراع مع العدو الصهيوني، التي استأثرت باهتمام حزب جبهة العمل الإسلامي، والحركة الإسلامية، والشعب الأردني بشكل عام، معركة الرصاص المصبوب، التي أرادها العدو الصهيوني معركة القضاء على حماس، وبالتالي تدمير المعنويات الفلسطينية والعربية والإسلامية، ولكن إرادة الله الغالبة شاءت غير ذلك، فالصمود المعجز، والتضحيات العظيمة، والنماذج الفريدة، التي قدمها أهلنا في غزة، وفي مقدمتهم حركة المقاومة الإسلامية، أفضلت مخططات العدو، وأجبرته على وقف إطلاق النار. إن الحقد الصهيوني، والتدمير الممنهج لغزة، والاستخدام المفرط للقوة، واستخدام الأسلحة المتطورة، والتي لم تستخدم من قبل، وما قابل ذلك من صمود وتضحيات، جعلت الناس مشدودين إلى غزة، ولا سيما في الأردن، لاعتبارات عدة.

كلّ ذلك جعل للحراك الجماهيري خصوصية عما سواه، فقادت الحركة الإسلامية المسيرات، وأقامت المهرجانات، وألهبت حماسة المواطنين ولا سيما في المخيمات، وتسابق المواطنون إلى تقديم المساعدات النقدية والعينية، وقد تضافر في هذه المعركة الجهد الرسمي والشعبي، حيث

اضطلعت الهيئة الخيرية الهاشمية بدور مميز، وما زال المستشفى الميداني الأردني يقوم بواجبه، ويحظى بتقدير عالٍ من الحكومة في قطاع غزة.

8. ومع فرض الحصار على قطاع غزة نشط الأردنيون، ولا سيما في النقابات المهنية، لتسيير قوافل كسر الحصار، وإيصال المساعدات الطبية والإغاثية، وكان لرموز حزب جبهة العمل الإسلامي، والحركة الإسلامية مشاركة واسعة فيها، وقد مثلت هذه الوفود الشعب الأردني في مختلف مواقعه وشرائحه، وقد كان للقافلة القيادية التي شارك فيها كاتب هذه الورقة تقدير عالٍ، وأثر طيب لدى الإخوة في قطاع غزة.

وقد تبارى الأردنيون في إكرام القوافل التي ذهبت إلى غزة عبر الأردن، أو حاولت الذهاب، حيث أقيمت المهرجانات والأحفال في كلٍّ من عمان والعقبة ومعان والكرك والمفرق وغيرها، وتحدث الضيوف الأجانب بإعجاب عما شاهدوه في الأردن من كرم الوفادة.

9. أسبوع القدس: ونظراً لما تمثله القدس، وما حوت من المقدسات الإسلامية والمسيحية من رمزية في نفوس العرب والمسلمين، فقد تنافست فروع حزب جبهة العمل الإسلامي وشُعَب جماعة الإخوان المسلمين في تخصيص أسبوع في كلِّ سنة، تحت عناوين لبيك يا أقصى، وأسبوع القدس، وغيرها، تعبيراً عن مكانة القدس في نفوسهم، وتأثراً بما يجري في القدس من اقتحامات، وتدنيس، ومشاريع تستهدف طمس هويتها العربية والإسلامية، ويشتمل أسبوع القدس ندوات، ومهرجانات، ومحاضرات، وأمسيات شعرية، تشهدها أعداد غفيرة من أبناء الوطن.

10. الاحتفاء برموز فلسطين: وكما حظيت فلسطين الأرض والمقدسات باهتمام كبير، وتقدير عالٍ، لمكانتها الدينية والتاريخية فقد حظي رموزها ومجاهدوها باهتمام كبير كذلك، حيث يحرص منظمو المهرجانات وأسابيع القدس وفلسطين على استضافتهم، أو مشاركتهم عبر الهاتف إذا عز اللقاء.

كما لقي الضيوف منهم ترحيباً حاراً، وحفاوة بالغة، حيث حظي الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وزيارات خالد مشعل، والمطران عطا الله حنا، ومشير المصري، وأم كامل، وأم نضال فرحات، وغيرهم باهتمام كبير، فقد تنافس المواطنون في دعوتهم للمشاركة في بعض الأنشطة، واستضافتهم في منازلهم، ودعوة الآخرين إلى ولائم على شرفهم.

11. الأسرى والمفقودون الفلسطينيون والعرب: تحظى قضية الأسرى والمفقودين باهتمام بالغ من الحركة الإسلامية، والقوى المجتمعية في الأردن، انطلاقاً من نبل الغاية التي أسروا من أجلها، ولطول فترة محكوميتهم، التي سجلت أرقاماً قياسية، ولمدى صبرهم وتحملهم لما يلاقونه

من جلاديهم، ولكثرة عددهم، حيث لا يكاد يخلو بيت في فلسطين من تقديم أسير، أو شهيد، أو مصاب بإعاقة، أو عاهة دائمة.

ولذلك حرص حزب جبهة العمل الإسلامي على المشاركة في إحياء يوم الأسير، والمطالبة بالإفراج عن الأسرى، وإثارة قضيتهم أمام الهيئات الدولية، والتتديد بإجراءات الاحتلال العقابية، والاحتفاء بالأسرى المحررين وتكريمهم.

12. إثارة القضية أمام الدبلوماسيين الأجانب: استقبل حزب جبهة العمل الإسلامي أعداداً كبيرة من الدبلوماسيين، باستثناء الدبلوماسيين الصهاينة والأمريكيين، ولا سيما في المحطات المهمة، كغزو العراق، وحرب الفرقان، ومرحلة الربيع العربي. ولم تكن القضية الفلسطينية غائبة عن أيّ من هذه اللقاءات، حيث كان حزب جبهة العمل الإسلامي يذكّر بالجرائم التي ترتكب بحقّ فلسطين وشعبها، وبمسؤولية المجتمع الدولي عن هذه القضية، باعتبارها من صنعه، فهو الذي أصدر وعد بلفور، وفرض الانتداب على فلسطين، وسهّل الهجرة اليهودية إليها، وهو الذي أمد الكيان الصهيوني بالدعم السياسي والعسكري والاقتصادي، بما في ذلك استخدام حقّ الفيتو وكفل له التفوق على دول المنطقة مجتمعة، وهو الذي جرم فصائل المقاومة، ووصمها بالإرهاب، وهو الذي تقاعس عن تنفيذ قرارات مجلس الأمن، والجمعية العمومية للأمم المتحدة، حيث تمّ التأكيد في هذه اللقاءات على حقّ العودة، وشرعية المقاومة، وإدانة الاستيطان والتهويد والتهمير.

كما حرص حزب جبهة العمل الإسلامي على زيارة بعض السفارات، وتسليم مذكرات موجهة إلى رؤساء الدول والحكومات، تطالب بالانحياز إلى ميثاق الأمم المتحدة، واحترام قراراتها. كما وجه فيضاً من المذكرات، والرسائل إلى زعماء الدول العربية، والجامعة العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، تطالبها جميعاً بالاضطلاع بمسؤولياتها إزاء القضية الفلسطينية العادلة، ودعم شعبها الذي قاربت معاناته قرناً من الزمان.

### موقف حزب جبهة العمل الإسلامي من القضية الفلسطينية في ظلّ الربيع العربي:

إذا جاز لنا أن نعدّ مطلع سنة 2011 بداية للربيع العربي، فإننا نعدّ هذه المرحلة دفعة قوية للقضية الفلسطينية، حيث عززت هذه المرحلة الثقة بتحرير فلسطين، واستعادة كامل حقوق الشعب الفلسطيني، فمرحلة الربيع العربي التي أطاحت بأنظمة فاسدة مستبدة وخاضعة

للإملاءات الخارجية، كسرت حاجز الخوف لدى المواطن العربي، وحفّزت جماهير الأمة في مواقع أخرى للمطالبة بإصلاحات حقيقية، تؤكد أن الشعب مصدر السلطات بحق.

ولا يخفى تغير الخطاب الرسمي في الدول التي تخلصت من أنظمتها السابقة إزاء فلسطين، والإجراءات التي تمّت لتسهيل الانتقال عبر معبر رفح، وفتح الأبواب في العواصم العربية والإسلامية لرموز المقاومة الفلسطينية، تؤكد أن عهداً جديداً بدأ يتشكل لدعم صمود الشعب الفلسطيني، وبمهد لاستعادة الأمة دورها إزاء القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة.

وقد تجلّى هذا التحول في موقف مصر من الاعتداء الأخير على قطاع غزة، حيث قرر رئيس الجمهورية سحب السفير المصري من تل أبيب، والدعوة إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب، ودعوة مجلس الأمن الدولي للانعقاد، وأرسل رئيس وزراء مصر على رأس فريق وزاري إلى غزة.

وقد راجت مقولة إن العرب في مرحلة الربيع العربي قد انكفأوا على أوضاعهم الداخلية، وتأخر موقع القضية الفلسطينية في سلم أولوياتهم. ونرى أن هذه المقولة تستند إلى نظرة عاجلة غير متفحصة، وغير مدركة لعمق التحولات التي تشهدها المنطقة. فالثورات العربية ما زالت في بداياتها، ومن الطبيعي أن تتركز الجهود على التخلص من القيود والأغلال التي كبلت بلدانها، وعلى بذل أقصى جهدها في إعادة البناء على مستوى التشريعات والإدارات والسياسات، وإقامة نظم ديموقراطية تضع حداً للتفرد بالسلطة، وتتيح مشاركة شعبية واسعة، وتضع حداً للفساد.

وهي أهداف تحتاج إلى جهد غير عادي، وإلى فترة زمنية كافية. ولكنها بالتأكيد لن تنحصر إيجابياتها على أقطارها، وإنما سيكون لفلسطين فيها مساحة واسعة.

فالشعوب العربية بحكم انتمائها القومي، وموقع القضية الفلسطينية في عقيدتها، وإدراكها لخطورة المشروع الصهيوني حين تتسلم زمام الأمور، لن تقبل بمحاصرة الشعب الفلسطيني، ولن ترضى بممارسة الضغوط عليه، ولن تسمح بتركه وحيداً في الميدان، ولن تسكت عن معاهدات تخرج أقطارها من دورها الوطني والقومي والديني.

ومع وجاهة التركيز على الشأن الداخلي في دول الثورات العربية، والأقطار المطالبة بالإصلاح الحقيقي، فقد واصلت القوى الشعبية، وفي مقدمتها الأحزاب الإسلامية الاضطلاع بمسؤولياتها إزاء القضية المقدسة، وإزاء الشعب الفلسطيني الذي يعيش في أصعب الظروف وأخطرهما. فحزب جبهة العمل الإسلامي الذي انخرط في مشروع الإصلاح، وأسهم في بناء أطر متعددة للعمل المشترك من أجل تحقيق الإصلاح، وشارك في آلاف الفعاليات الجماهيرية خلال

السنتين الماضيتين، لم تغب عن ناظره القضية الفلسطينية لحظة واحدة، فقد ظلت فقرة ثابتة على جدول أعمال مكتبه التنفيذي، وعلى جدول لجنة التنسيق العليا لأحزاب المعارضة التي هو أحد مكوناتها، أو اللجنة التنفيذية العليا لحماية الوطن ومجابهة التطبيع التي يرأسها أمين عام حزب جبهة العمل الإسلامي، كما لم تخل الساحات والميادين من فعاليات مخصصة للقضية الفلسطينية.

وباستعراض ما تضمنه أرشيف حزب جبهة العمل الإسلامي ابتداء من مطلع سنة 2011 يتضح لنا أن الحزب واصل إصدار البيانات، والتصريحات التي تؤكد ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية، على قاعدة المقاومة حتى تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني، والتأكيد على حق العودة، ورفض المفاوضات العبيثة والتنسيق الأمني مع العدو، وإدانة ممارسات العدو التي تستهدف تهويد الأرض، وتدنيس المقدسات، وإبعاد الفلسطينيين، والمداهمات، والاعتقالات، والقتل الممنهج، وإساءة معاملة الأسرى، والقرصنة البحرية في مواجهة المتضامنين مع الشعب الفلسطيني، والتنديد بالسياسات الأمريكية المتحالفة مع العدو الصهيوني، واستتكار الممارسات الطبيعية.

وقد وجه الحزب مزيداً من الرسائل للزعماء العرب، والجامعة العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، تدعوها لتحمل مسؤولياتها، كما شارك الحزب في العديد من الفعاليات الجماهيرية ولا سيما أسبوع القدس، الذي تبارت فروع الحزب في إقامته، ودعوة بعض رموز المقاومة للمشاركة فيه.

وفي العديد من الوقفات الاحتجاجية ضد التطبيع، وفي مناسبة توقيع معاهدة وادي عربة وذكرى وعد بلفور. وفي المهرجانات والمؤتمرات ولاسيما مؤتمر حق العودة.

وأخيراً فإن هذه الجهود على كثرتها وتنوعها واستمراريتها لا ترقى إلى طهر جسد مزقه حزام ناسف في مغتصبة صهيونية، ولا إلى شموخ أسير يتحدى جلاديه، مسجلاً رقماً قياسياً في معركة الأمعاء الخاوية، ولا إلى جسارة طفل يتصدى بمقلع حاكته أمه لدبابات العدو، ولا إلى تهليل أم ظلّت جالسة على سجادة الصلاة تدعو لولد استحلفها أن تدعو الله له أن يرزقه الشهادة، ولا إلى صمود امرأة نصبت خيمتها على أنقاض منزل دمره الحاقدون، فصارت خيمتها مزاراً للمتضامنين، وإلى شموخ امرأة قدّمت أربعة شهداء، أجابت كاتب هذه الورقة حين قال لها: هنيئاً لك تقديم أربعة شهداء: يا شيخ هذا قليل في سبيل الله ومن أجل فلسطين.

ولكنها تبقى جهوداً مهمة وضرورية، حتى لا يقول الإنسان الفلسطيني يا وحدنا، وحتى تبقى فلسطين الأرض والمقدسات والإنسان والقضية حاضرة في الوجدان إلى أن يحين تحقيق وعد الله عز وجل "فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِّرًا"، "وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا" صدق الله العظيم.

### نظرة مستقبلية:

ما زال العدو يمتلك كثيراً من أوراق القوة، وهو يحسن توظيفها في تعزيز وجوده على أرض فلسطين، لإيجاد واقع جديد يصعب تجاوزه، فهو من جهة يواصل تطوير آلتة العسكرية، ويعزز بها قدراته القتالية في مواجهة الشعب الفلسطيني، وفي تهديد المحيط العربي والإسلامي، ويصدرها لكثير من الدول ليرفد بها اقتصاده، ويوفر الإمكانيات اللازمة للتوسع في الاستيطان، وتطبيق الشعب الفلسطيني بجد العزل، وتقطيع أوصال الأرض الفلسطينية بالطرق الالتفافية.

كما أنه ما زال يحظى بالرعاية التامة من الإدارة الأمريكية، بغض النظر عن يسكن البيت الأبيض، فالجمهوريون والديمقراطيون يتسابقون على إرضاء اللوبي الصهيوني، وتلبية مطالب الدولة العبرية، وفي الوقت ذاته ما زال اللوبي الصهيوني عبر مؤسساته المتعددة فاعلاً مؤثراً في السياسة الأمريكية.

ولا تزال الأحادية القطبية تتسيد الموقف منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، على الرغم من جهود كل من روسيا والصين لإثبات وجودهما، ولا سيما على الصعيد الاقتصادي، ومحاولة منازعة الولايات المتحدة الأمريكية أحياناً. بينما ما زال الاتحاد الأوروبي غير قادر على شق طريقه بقوة بعيداً عن الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي المقابل فإن الدول العربية لا تزال تعاني من الفرقة والتشتت، وعدم الانعتاق من هيمنة الدول الكبرى، أو المعاهدات، والاتفاقيات المكبلة لإرادتها، كما أن معظمها ما يزال تحكم شعوبها حكماً فردياً مباشراً، ولم يسمح بتطوير حياة ديمقراطية تمسك فيها الشعوب بزمam الأمر، ويثقل كاهل الكثير منها مديونيات عالية لنقص في الإمكانيات أو فشل في السياسات.

كما تعاني من الفساد الذي استشرى في السلطة الفلسطينية، ومن التحالفات الأمنية بينها وبين العدو، ومن خضوعها لإملاءات العدو والدول المانحة، المتحكمة بتمويل الحكومة الشكلية التي تدير شؤون السلطة. ويبقى الأمل معقوداً على الدول التي أسقطت أنظمة حكمها الفاسدة والمفسدة، أو التي تتناقض مع شعوبها من أجل إصلاح حقيقي، هذه الدول التي أسقطت أنظمة الفساد والاستبداد والتي يتولى الحكم فيها الإسلاميون أو يشاركون في حكمها مدعوة اليوم ودون

إبطاء لتشكيل رافعة للأمة وللقضية الفلسطينية، ويمكن إيجاز أبرز الأولويات المأمولة منها فيما يلي:

1. إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة، ولا سيّما أن معبر رفح معبر فلسطيني مصري وليس من حقّ أحد سواهما إبقاء الحصار.

2. العمل على إنهاء حالة الانقسام بين حكومتي رام الله وغزة وفقاً للثوابت الوطنية الفلسطينية، وربط التعامل مع الفصائل الفلسطينية المقاومة بمدى التزامها بالثوابت الوطنية الفلسطينية.

3. تعزيز صمود الشعب الفلسطيني عبر خطة سياسية اقتصادية اجتماعية، تضمن الكفاية للمواطن الفلسطيني، ولا سيّما أسر الشهداء، والأسرى، والمصابين، والعاطلين عن العمل. إذ إن أخطر ما تتعرض له القضية الفلسطينية أن تنتج خطة العدو في الاستيطان، والتهميد، والإبعاد، والإرهاب، والتضييق على المواطنين في مغادرة أرض فلسطين، لتشكيل هجرة جديدة، وتعزيز الوجود اليهودي في فلسطين، وتقلل الكتلة البشرية الفلسطينية. ومسؤولية دعم صمود الشعب الفلسطيني مسؤولية قومية وإسلامية فضلاً عن أنها مسؤولية وطنية.

4. العمل على التخلص من المعاهدات، والاتفاقيات الموقعة مع العدو، التي أسبغت عليه الشرعية، وتركت الشعب الفلسطيني وحيداً في مواجهته، وفتحت الباب واسعاً أمام العدو للتمرد، وكسب مزيد من الاعتراف، وعقد شراكات واتفاقيات مع كثير من الدول، من شأنها أن تعزز من قدراته الاقتصادية والعسكرية، والعمل على إحكام المقاطعة كسلاح أثبت نجاعته في فترات سابقة.

إن إلغاء المعاهدات الموقعة مع العدو أمر ممكن، ولا سيّما أن العدو يعطي كلّ يوم مبررات عديدة لإلغائها، سواء عبر جرائمه اليومية بحقّ الشعب الفلسطيني، أو بتحديه للقرارات الدولية، أو بأعمال التجسس، والتخريب التي يمارسها في البلاد التي يقيم علاقات معها. وإذا كانت هناك كلف وأعباء اقتصادية على الأقطار التي تعلن بطلان المعاهدات، فإن من حقها على الأقطار الأخرى، وعلى رأس المال الوطني أن يعرض هذه الكلف.

5. العمل على تعزيز التضامن العربي، وتفعيل صيغ العمل المشترك، وفي مقدمتها اتفاقية الدفاع المشترك، التي من شأنها ردع العدو عن ارتكاب أعمال إجرامية بحقّ الشعب الفلسطيني، أو القيام بأعمال عدائية ضد الأقطار المجاورة لفلسطين.

6. إتاحة الفرصة للشعوب لترتيب أشكال من الدعم والإسناد للقضية الفلسطينية، على غرار ما يصنع اليهود لنصرة الكيان الصهيوني على باطله.
7. إعداد الأمة إعداداً جهادياً، يبعث فيها الأمل، ويحيي روح الجهاد، ويعزز شعورها بالمسؤولين إزاء الأرض المقدسة، والعمل على بناء قوة عسكرية قادرة على ردع العدو، وعلى الإسهام في نصرته القضية، وهذا يقتضي تضافر جهود كل مؤسسات الدول، من دور العبادة، إلى مناهج التربية والتعليم، إلى وسائل الإعلام.
8. السعي الحثيث لتحقيق وحدة الأمة، ولو بصورة متدرجة، تراعي الأبعاد الجغرافية والتنموية، شريطة أن تكون وحدة مدروسة، ومعداً لها، حتى لا تضيف عوامل إحباط جديدة.
- فالوحدة اليوم أصبحت سياسة عالمية، حيث أدركت كثير من الدول أن التكامل بين الدول ذات الروابط المشتركة هو الحل لكثير من مشاكلها، ولا نخال أمة لديها من مقومات الوحدة ما لأمتنا. مثل هذه الوحدة في ظل حكم رشيد كفيلة بمعالجة المشكلات الاقتصادية في الداخل، وفرض صيغ من التعامل مع الخارج، تقوم على الندية والاحترام المتبادل، وتؤسس لتحقيق وعد الله بإنهاء الاحتلال، وعودة فلسطين إلى هويتها وموقعها في حضن الأمة، فهي لم تتحرر يوماً من الاحتلال إلا بوحدة الأمة، وتوظيف إمكاناتها في خدمة القضية.
9. العمل على إحكام العزلة على العدو، وذلك بجهود تتضافر فيها الدبلوماسية النشطة، التي تفضح ممارسات العدو وجرائمه، وتحديه للمجتمع الدولي، وتقيم علاقات على قاعدة المصالح المتبادلة مع الدول. وتحريك قضايا ضدّ العدو أمام المحاكم الدولية، وبناء قوى ضغط لخدمة قضايا الأمة في هذه الدول.
10. تعزيز العلاقات بين دول الربيع العربي والدول الإسلامية ذات التوجهات الإسلامية والتحررية، وتنسيق المواقف معها في دعم القضية الفلسطينية، والتصدي لسياسات الهيمنة على المنطقة.
11. العمل على إيجاد تحالفات دولية، نواتها الدول العربية والإسلامية والإفريقية، على أسس جديدة، تضع حداً للقطب الواحد، الذي فرض نفسه شرطياً للعالم.
12. إن من شأن هذه التحالفات أن تعطي دفعة قوية للشعوب وحركات التحرر في نضالها من أجل تحقيق أهدافها.



وأخيراً فإن تحقيق هذه الأولويات يأذن بتحوّلات كبرى لتحقيق وعد الله تعالى، وبشارة رسوله صلى الله عليه وسلم، بتحرير الأرض، ودعوة أهلها إليها، وإنقاذ البشرية من خطر داهم يمثله الوجود الصهيوني في فلسطين.

"وَقُلْ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ".